"نظرية" "ج ب واطسون" في التعلم.

التحق "واطسون" (1878-1958) بجامعة شيكاغو منذ عام 1900 حتى حصل على الدكتوراه في الفلسفة سنة 1903، وتولى منذ عام 1911 حتى 1917 تحرير مجلة سلوك الحيوان التجريبي، ويعتبر "واطسون" المؤسس الأول للمدرسة السلوكية في الولايات المتحدة الأمريكية كما يعتبر من أكثر السلوكيين تزمتا في إرجاع السلوك الإنساني بما في ذلك التعلم إلى البيئة والمنبهات الحسية فقط. ان نظرية ومبادئ "واطسون" هي توأم متطابق لتلك التي أتى بها "بافلوف" حيث لا تعدو سوى اشتراطات تقليدية على الطريقة الأمريكية.

رسالته عن السلوك الحيواني.

حصل "واطسون" على درجة الدكتوراه من جامعة شيكاغو عام 1903، وفي رسالته التي جاءت تحت عنوان "التعليم الحيواني: دراسةٌ تجريبية على التطور الجسدي للفأر الأبيض وعلاقته بنمو جهازه العصبي"، قام ""واطسون" بوصف العلاقة بين تكون الميالين في المخ والقدرة على التعلم عند الفئران في مختلف الأعمار، حيث اكتشف أنّ الحس الحركي يتحكم في سلوك الفئران التي تجري في متاهات، وفي عام 1908 وافق "واطسون" على التعيين في منصبٍ جامعي في جامعة "جونز هوبكينز"، وتمت ترقيته سريعًا ليصبح رئيس قسم علم النفس بها.

علاقة "واطسن"" ب "روزالي رايتر" وزواجه منها.

في عام 1920 طلبت جامعة "جونز هوبكينز" من " واطسن" أن يقدم استقالته من منصبه بالكلية التي كان يشتغل بها بسبب ذيوع فضيحة ارتباطه مع طالبته ومساعدته "روزالي رايتر" وقد تصدرت عناوين

الصفحة الاولى من جريدة بالتيمور .

وبعد انتهاء إجراءات الطلاق من زوجته الأولى تزوج "واطسون" من "روزالي" في عام 1921 وظلا معًا حتى موتها في عام 1935.

يرى "واطسن" مؤسس المدرسة السلوكية أن علم النفس هو علم السلوك وأن الطريقة المناسبة لدراسة موضوعاته هي الطريقة الموضوعية المستخدمة في الميادين العلمية الطبيعية وليست طريقة الاستبطان التي كانت شائعة قبله في دراسة الظواهر النفسية. ذلك لأن العلم يدرس من الظواهر ما هو ظاهر منها وقابل للقياس فيها، وعلى الرغم من الشهرة التي حظي بها "واطسن" كمؤسس للمدرسة السلوكية لكنه لم يكن صاحب نظرية بالمعنى الدقيق للكلمة فقد وجد "واطسن" في مفهوم الاشراط عند "بافلوف" ما يبرهن بما فيه الكفاية على قوة الاشراط وتأثيره في السلوك الإنساني ولا سيما في دراسة عملية التعلم والعمليات العقلية العليا. وعلى العموم فان "واطسن" يؤكد من خلال الأعمال التي قام بها على دور البيئة الاجتماعية في تكوين ونمو شخصية الفرد، وكذلك أهمية دراسة وقياس آثار المثيرات المختلفة في عملية التعلم وفي السلوك بصفة عامة.

لقد قام "واطسن" بإجراء عدد من التجارب كان من بينها تلك التي أجراها على الطفل "ألبرت" الذي كان يعتقد أنه كان سليم الجسم والنفس معاً، و ليس لديه مخاوف غير عادية، و إنما كان كغيره من الأطفال يخاف من الأصوات المدوية والمفاجئةأو الصاخبة، وقد جيء بفأر أبيض إليه فصار يلعب معه حتى ألف ذلك وتعود عليه، وبعد مضي فترة من الزمن وبينما كان الفأر يقترب من الطفل أحدث المجرب صوتاً مرتفعاً مفاجئاً (وهو مثير مناسب إحداث الخوف) وبعد تكرار هذا الاقتران مرات عديدة أظهر "البرت" خوفاً ملحوظاً من الفأر الأبيض، وحين رأى حيوانات أخرى لها فرو شبيه بفرو الفأر بدا عليه الخوف كذالك أيضا.

وهكذا نجح واطسن في إثارة الخوف لدى الطفل عن طريق تقديم مثير يستدعي الخوف بطبيعته عند الطفل وهو الصوت القوي المفاجئ بمصاحبة الفأر. وهو مثير حيادي كان الطفل قد تعود اللعب معه، بحيث اكتسب الفأر صفة المثير الطبيعي للخوف وهكذا تكون ارتباط بين الفأر واستجابة الخوف ثم عممت بعد ذلك هذه الاستجابة ويمكن تمثيل إحداث هذه التجربة على النحو التالي:

أ. مثير: صوت قوي مفاجئ ------ استجابة: الشعور بالخوف.

ب. مثير: رؤية الفأر ---------- استجابة: التوجه إلى الفأر وعدم الخوف منه.

ج. مثير: ظهور الفأر أولا ثم إصدار صوت قوي مفاجئ وتكرار ذلك ------ استجابة الخوف.

د. ظهور الفأر وحده بعد ذلك ------ استجابة الخوف.

علاج "بيتر" الصغير من مخاوفه المرضية بالاشراط:

وعلى العكس من هذا استطاع كل من "واطسن" و"ماري كوفر جونس" (1924) أن يعالج الطفل "بيتر" ذو 3 سنوات من الخوف المرضي من الأرانب حيث استطاعا القيام بهذا من خلال الاشراط المضاد، وذالك عن طريق ربط مشاهدة الأرنب بأحاسيس مريحة (شرب الحليب وأكل الحلويات). ففي المرحلة الأولى يبقى على الأرنب بعيدا عن "بيتر" وهو يتناول الحليب والحلويات.

وبعد أيام فقد قرب الأرنب الى "بيتر" تدريجيا حتى أصبح يضعه على ركبتيه وهو يأكل.

ويمكن تمثيل هذه العملية على النحو التالي:

1- مثير تقديم بعض الحلوى ------ استجابة الشعور بالسرور.

2- مثير ظهور أرنب ------ استجابة الشعور بالخوف.

3- ظهور أرنب أولاً ثم تقديم بعض الحلوى لمرات متكررة ------ استجابة الشعور بالسرور.

4- ظهور الأرنب لوحده ------ استجابة الشعور بالسرور.

لقد قدمت نتائج هذه الأبحاث "لواطسن" دليلاً على أن السلوك المرضي يمكن اكتسابه كما يمكن التخلص منه، وأنه بالتالي لا يوجد فرق بين طريقة اكتساب السلوك العادي وطريقة اكتساب السلوك المرضي لأن العملية الرئيسة في كلتا الحالتين هي أصلا عملية تعلم وعملية تكوين ارتباطات بين مثيرات واستجابات. وقد أدى نجاح "واطسن" في تجاربه هذه إلى الاعتقاد بأنه يستطيع السيطرة على السلوك بطرائق لا حصر لها تقريباً عن طريق ترتيب تتابع المثيرات والاستجابات وقد توج دعواه بقوله المشهور: " أعطني اثني عشر طفلاً أصحاء، سليمي التكوين، وهيئ لي الظروف المناسبة لعالمي الخاص لتربيتهم وسأضمن لكم تدريب أيٍّ منهم، بعد اختياره بشكلٍ عشوائي، لأن يصبح أخصائيًا في أي مجالٍ ليصبح طبيبًا، أو محاميًا، أو رسامًا، أو تاجرًا أو حتى شحاذًا أو لصًا، بغض النظر عن مواهبه وميوله ونزعاته وقدراته وحرفته وعرق أجداده، إنني أتجاوز إلى ما وراء الواقع الذي أؤمن به وأعترف بذلك، ولكن أصحاب الرأي المعارض كانوا يفعلون ذلك أيضًا لآلاف السنين".

ان ما يعاب على تجربة "واطسن" و "روزالي" على "البير" الصغير أنه كان بها عدة ثغرات منهجية وأخلاقية. فقد كان الطفل مريضا ولا يرى جيدا وكما أنه وفق شهود لم يكن بامكانه تعلم المشي ولا النطق.

ولأن العادة كانت آنذاك أن تجرى التجارب على الأطفال من المرضى والفقراء فان أم "البير" الصغير لم تستطيع معارضة أن تجرى على ابنها التجربة فالصبي كان يعالج في ذالك المستشفى وأمه كانت تشتغل فيه كذالك.

وبعد اشراط "البير" الصغير على الخوف المرضي من الفئران البيض ومن كل ما هو ذو لون أبيض ترك "البير" الصغير ومصيره دون أن يحاول "واطسون" و "راينر" معالجته فلم تكن أخلاقيات البحث العلمي – أو الضعفاء – آنذاك قد وجدت من يدافع عنها.

الفعل المنعكس الشرطي عند "واطسون":

لقد اهتم "واطسون" الذي يعتبر أبا للمدرسة السلوكية بالفعل المنعكس الشرطي، ففي سنة 1914 يذكر واطسن مناهج "بافلوف" بوصفها مفيدة للتجريب على الحيوان، كما تأثر "واطسون" بالموضوعية التامة لهذا النوع من التجريب.

وفي عام 1919 جعل للتجارب في الفعل المنعكس الشرطي مركزا محترما في قائمة مناهجه السيكولوجية التي تستخدم سواء على الموضوعات البشرية والحيوانية.

موقف "واطسن" من الذاكرة والتفكر:

لقد سببت الذاكرة للسلوكيين متاعب أكثر مما ينبغي فحتى في سنة 1924 نجد "واطسون" يبدأ الجدل حول الذاكرة قائلا: "أن السلوكي لا يستعمل مطلقا لفظة الذاكرة انه يعتقد أنه ليس لها محل في علم نفس موضوعي"، ثم في مناقشته لحفظ المهارات والحقائق يذهب إلى استخدام الكلمة في حرية على سبيل الاقتباس، وأخيرا يذهب إلى القول بأن " الذاكرة في عرف السلوكي هي أي عرض للتنظيم اليدوي واللفظي والحشوي موضوعة فيما قبل وقت الاختبار".

أما التفكير فقد أمكن أن يدرج في السلوك بافتراض أنه يتركب من استجابات كلامية باطنة أو حديث صوتي.